

## أثر محاضرات علم البلاغة في تعزيز مهارات تدبر النص القرآني عند طلبة الجامعات

*The impact of rhetoric lectures on enhancing the skills of interpreting the Qur'anic text  
among university students*

Asst. Prof. Dr. Wardah Saleh N. Al-Karawi

أ.م.د. وردة صالح نغماش الكرعوي

Faculty of Excellence in Arabic Language and  
Literature/University of Kufa

كلية التميز في اللغة العربية وآدابها/  
جامعة الكوفة

[wardahs.nighmash@uokufa.edu.iq](mailto:wardahs.nighmash@uokufa.edu.iq)

تاريخ النشر: ٢٠٢٦/٣/٣٠

تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٣/٢٠

تاريخ التقديم: ٢٠٢٦/٣/١

### ملخص

يسلط البحث الضوء على الدور الحيوي للبلاغة في فهم المعاني العميقة للقرآن الكريم. يبين البحث أن علم البلاغة بما يتضمنه من علوم البيان والمعاني والبدع يسهم في تنمية قدرة الطلبة على تحليل النص القرآني واستيعاب دلالاته الدقيقة.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، مع تطبيق ميداني لقياس أثر المحاضرات البلاغية في تحسين مهارات التدبر لدى الطلبة. وأظهرت النتائج وجود تحسن ملحوظ في قدرة الطلبة على فهم الأساليب البلاغية، وربطها بالسياق القرآني، واستخلاص المعاني التربوية والإيمانية من الآيات.

كما يبرز البحث أهمية توظيف الأساليب التعليمية الحديثة في تدريس البلاغة، مثل المناقشة والتطبيق العملي، بدل الاختصار على الجانب النظري، لما لذلك من أثر في ترسيخ الفهم وتعميق التدبر. ويشير إلى أن ضعف مهارات التدبر لدى بعض الطلبة يعود إلى قصور في تدريس البلاغة بشكل تقليدي.

ويخلص البحث إلى ضرورة تطوير مناهج البلاغة في الجامعات، وربطها مبلشرة بالنص القرآني، بما يعزز من وعي الطلبة اللغوي والديني، ويسهم في إعداد جيل قادر على فهم القرآن الكريم فهماً واعياً وامتدداً.

**الكلمات المفتاحية:** أثر، البلاغة، طلبة الجامعات، مهارات، تدبر النص.

آذار ٢٠٢٦م/شوال ١٤٤٧هـ

السنة: العشرون

العدد: ٥٤/المجلد: ٢

DOI: <https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i54.23475>



Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مجلة كلية الفقه - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0 الدولي



Submission date: 01/03/2026

Acceptance date: 20/03/2026

Publication date: 30/03/2026

## Abstract

This research highlights the vital role of rhetoric in understanding the profound meanings of the Holy Quran. It demonstrates that the science of rhetoric, encompassing the disciplines of eloquence, semantics, and figures of speech, contributes to developing students' ability to analyze Quranic texts and grasp their subtle nuances.

The study employed a descriptive-analytical approach, incorporating fieldwork to measure the impact of rhetoric lectures on enhancing students' critical thinking skills. The results showed a marked improvement in students' ability to understand rhetorical devices, connect them to the Quranic context, and extract educational and faith-based meanings from the verses.

The research also underscores the importance of utilizing modern teaching methods in rhetoric instruction, such as discussion and practical application, rather than relying solely on theory, as this approach reinforces understanding and deepens critical thinking. It suggests that the weakness in critical thinking skills among some students stems from shortcomings in the traditional teaching of rhetoric. The research concludes that it is necessary to develop rhetoric curricula in universities and directly link them to the Quranic text, thereby enhancing students' linguistic and religious awareness and contributing to preparing a generation capable of understanding the Holy Quran with conscious and thoughtful reflection.

**Keywords:** impact, rhetoric, university students, skills, textual reflection.

العدد: ٥٤  
المجلد: ٢  
السنه: ٢٠٢٦  
٢٠٢٦هـ/٤٤٧م

أثر محاضرات علم البلاغة في تعزيز مهارات تدبر النص القرآني  
عند طلبة الجامعات

## مقدمة

الحمد النص القرآني هو النص الأجل والأفصح والأهم الذي أنزله الله تعالى لهداية البشرية، فهو دستور المسلمين والموجه لسيرهم في حياتهم، وقد أخذ العلماء والمفكرون أدواراً مهمة في محاولة سبر أغواره والغوص في بحر معانيه؛ لاستخراج الدرر الثمينة التي يزخر بها، ومنهم الأستاذ الجامعي الذي وقع على عاتقه تقديم هذا النص للطلاب تقديماً يؤدي إلى بناء ملكة نقدية ذوقية تمكنه من تدبر النص القرآني لينتقل في ضوئه من الفهم اللغوي إلى الوعي المقاصدي ومنه إلى تحصيل مخرجات الذوق الجمالي التي تعينه على تشكيل شخصيته الإنسانية الفذة وهو الهدف الأسمى الذي يسعى إلى تحقيقه البرنامج الجامعي.

من هنا برزت أهمية الدرس البلاغي الذي يقدم في الجامعات في وحدات تتفاوت في عددها بحسب الكليات والأقسام؛ فمحاضرات علم البلاغة التي يقدمها الأستاذ يمكن أن تمثل بوابة يطل من خلالها الطالب الجامعي على مواطن الإعجاز القرآني التي جعلته نصاً مقدساً صالحاً لكل زمان ومكان؛ وعلى الأستاذ أن يكون واعياً للمسؤولية التي تقع على عاتقه ولا بد له من اختيار المنهج الدراسي الذي يضمن إيصال المادة العلمية بطريقة تخدم الهدف الأساس الذي ظهر علم البلاغة لخدمته وهو فهم النص القرآني والوقوف على أسباب الإعجاز فيها ويمكن له أن يعينه على فهم النص فهماً يؤدي إلى تأثر الطالب به ومن ثم يحفز لديه الرغبة والرغبة كما يسهم في تنمية الذوق الجمالي ليستشعر جماليات هذا النص المعجز.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يقسم البحث على مبحثين، المبحث الأول منهما يمثل الإطار النظري، تناولت فيه مفهوم علم البلاغة، ونشأته، وأقسامه، وعلاقته بالنص القرآني وعلاقة علم البلاغة بالقرآن الكريم. ثم بينت مفهوم تدبر النص القرآني، وأهم مهاراته. والمبحث الثاني تناولت فيه الجانب التطبيقي تبعتهما النتائج والتوصيات.

## مشكلة البحث

تتناول الباحثة موضوع قصور الطالب الجامعي عن فهم النص القرآني بسبب ضعف مهارات التدبر، وأثر ذلك في حرمان الطالب من تحصيل الأحكام الشرعية والمفاهيم الأخلاقية والقيم العليا التي يزخر بها النص القرآني؛ بسبب هذا الضعف في القدرة على التدبر، ثم تبحث في جذور هذه المشكلة لدى الطالب الجامعي في الأقسام التي تقدم فيها مادة علم البلاغة؛ لكونها من المحاضرات التي تقدم للطلاب تطبيقات قرآنية في ضوء أقسام علم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ومن ثم يمكن لدرس علم البلاغة أن يشكل باباً من أبواب التدبر في النص القرآني.

## أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تحصيل السبل العلمية التي تعين الطالب الجامعي على الإفادة من محاضرات علم البلاغة بالتعاون مع أستاذ المادة من خلال ربط المقررات البلاغية بالتطبيقات القرآنية العملية، وتطوير طرائق تدريس مفردات علم البلاغة بما يعزز مهارات التدبر والتفكير، ومحاولة الهيئة التعليمية الإسهام في إعداد مناهج تدريس مادة علم البلاغة بما يجعلها أكثر عمقاً وتفاعلاً؛ لتشكيل عامل جذبٍ للطلاب للإقبال على تقبل مادة علم البلاغة أولاً، والإفادة منها في حياته العلمية والعملية ثانياً؛ لإيمان الباحثة بأن البرنامج الدراسي لمادة علم البلاغة القائم على التطبيقات القرآنية يساعد كثيراً في تنمية أبعاد الحس الجمالي والتدبري عند الطالب وهذا ما تلمّسته لدى الطلبة الذين تقدم لهم محاضرات في علم البلاغة.

فرضية البحث: يمكن أن نبينها على وفق ما يأتي:

١. هل تمكن الأستاذ الجامعي من تقديم مادة علم البلاغة بالشكل الذي ينفع الطالب ويعزز لديه القدرة على فهم النص القرآني وتدبره؛ للإفادة من مكوناته العلمية والتربوية والأخلاقية التي تنفعه في الدنيا والآخرة؟ لكون علوم علم البلاغة إنما انبثقت وصارت علماً له قوانين وقواعد - بعد أن كان مجرد آراء متناثرة في كتب الأدب - بعد

مجيء الإسلام واختلاط الأمم، ونزول القرآن الكريم وما حصل من اللحن، فظهرت الحاجة الى ضبط اللسان العربي أولاً لضمان صحة القراءة وهذا ما تكفل به علم النحو، ثم ظهرت الحاجة الى معرفة أسرار الإعجاز القرآني وهذا ما تكفلت به علوم علم البلاغة، وليس من شك في أن اختلاف العلوم قد يقتضي اختلاف طرائق التدريس التي تنفع لعلم دون آخر، فقد تكون الطريقة في تدريس النحو صحيحة لكنها لا تعطي النتائج المطلوبة اذا اعتُمدت في تدريس علوم علم البلاغة، وهذا ما تحاول الباحثة البحث عنه ودراسته.

٢. ما العوامل التي تعيق تحقيق الأثر البلاغي في تدبر النص القرآني والى أي مدى يمكن أن تسهم هذه المحاضرات في تحسين قدرة الطالب على تحليل النص القرآني وتدبره؟

٣. البحث عن الفروق التي يمكن أن تكون عند الطلبة بسبب اختلاف التخصص، أو المستوى الدراسي وتأثير ذلك في تقبل الطالب لمادة علم البلاغة واستيعابه لدلالته ويمكن أن يتم ذلك عبر عمل استبانات لشرائح من الطلبة في أقسام مختلفة ومراحل متعددة يقوم بها المتخصصون في مثل هذه المشاريع والخطط التي تتبنى عمل الاستبانات في المرحلة الأخيرة لكل دفعة من الطلبة على مدى أربع سنوات خلت لهم من الدراسة وأخذوا نصيباً من علوم علم البلاغة.

٤. هل استثمر الأستاذ الجامعي - الذي يقع على عاتقه تدريس مادة علم البلاغة - النص القرآني في تطبيق مفردات المادة العلمية؛ لكون القرآن الكريم هو العامل الأساس إن لم نقل الوحيد الذي دفع الى نشأة علم البلاغة وتقنينها والوصول بها الى ما هي عليه الآن؟ فالعامل الذي دفع العلماء الى إنشاء علوم علم البلاغة في القرن الثاني الهجري وكما هو معلوم هو الاهتمام بالنص القرآني، ومحاولة المسلمين سبر أغوار لغته وأساليبه لمعرفة سرّ إعجازه، مع العلم بأن قضية التطبيقات على النصوص اختيارية وليست إجبارية في الجامعات، فالمطلوب من الأستاذ أن يتقيد بالمفردات المنهجية المقررة، أما قضية اختيار الشواهد والتطبيقات فقد تُركت للأستاذ بحسب ما يراه مناسباً.

## منهج البحث.

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لمنهج علم البلاغة في الجامعة ومدى تعلق المحاضرات ببيان الأثر العلمي والتربوي والأخلاقي والقيمي للطلاب الجامعي. والمنهج التحليلي لنماذج من محاضرات علم البلاغة التي تتناول النصوص القرآنية.

العدد: ٥٤  
المجلد: ٢  
السنة: ٢٠  
٢٠٢٦هـ/٢٠٢٦م

أثر محاضرات علم البلاغة في تعزيز مهارات تدبر النص القرآني  
عند طلبة الجامعات

## المبحث الأول: الإطار النظري.

### المطلب الأول: علاقة علم البلاغة بالقرآن الكريم.

اهتم الدارسون بالقرآن الكريم؛ لأنه يشكل قيمة جمالية لا نظير لها عجز بلغاء العرب عن مجاراتها، فهو معجز في جمال ألفاظه وعمق معانيه وجودة سبكه، أعجز بلغاء العرب عن مجاراته والنسج على منواله، مما دفع الدارسين الى تتبع مواطن القوة في هذا الشكل التعبيري الجديد الذي حير الألباب وأخذ بتلابيب العقول، وأخذوا يتحاورون في مجالسهم الخاصة، والعامية بحثاً عن علل هذا الجمال فلا يستوحش من -عاش معه يقرأ آياته فيأنس بها، وهذا ما أشار إليه الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام في قوله ((لومات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت، بعد أن يكون القرآن معي)) (الكليني، ٢٠٧م، ٢/٢٠٦) فيما وصفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بربيع القلوب وهو يدعو الى تعلمه وتعليمه، قال عليه السلام: ((تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب)) (الشريف الرضي: الخطبة ١١٠) وهو إنما يصدر عن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، من هنا بدأ المسلمون يبحثون في لغة القرآن الكريم وأساليب التعبير التي أعجزت فطاحل المتكلمين عن مجاراته، وقد اجتمعت عوامل عدة أدت الى ظهور الدرس البلاغي عند العرب ليستوي فيما بعد علماً له قواعده وقوانينه.

### المطلب الثاني: أهمية دراسة علم البلاغة لفهم النص القرآني.

الأهمية البالغة التي يشغلها القرآن الكريم في حياة الإنسان؛ لأنه دستور المسلمين الذي أنزله الخالق العالم بالإنسان وبما يضمن له العيش الكريم فيما لو تمسك به، وهذا ما عبر عنه الرسول الكريم في حديثه مع معاذ (معاذ بن جبل توفي سنة ١٨ للهجرة، صحابي وفقهه وقارئ للقرآن وراوٍ للحديث النبوي، من الانصار من بني أدى من بني جشم بن الخزرج، أسلم وهو ابن ١٨ سنة، وشهد بيعة العقبة الثانية، ثم شهد مع النبي

محمد صلى الله عليه واله المشاهد كلها، واستبقاه النبي في مكة بعد فتحها ليُعلم الناس القرآن ويفقههم، ثم بعثه عاملاً له في اليمن بعد غزوة تبوك) (الذهبي: ١٤٣٨ هـ، ٦/١) (يا معاذ، إن أردت عيش السعداء وميتة الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والأمن يوم الخوف، والنور يوم الظلمات، والظل يوم الحرور، والري يوم العطش، والوزن يوم الخفة، والهدى يوم الضلالة، فادرس القرآن، فإنه ذكر الرحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان) (الريشهري، ١٤٢٢ هـ، ٢٥٢٣/٣) وليس من شك في أن اتباع تعاليم القرآن لابداً لها من التعرف على معانيه، وإدراك الفاظه، وما تنطوي عليه تراكيبه من بلاغة في التعبير ودقة في الوصف، والإجادة في المعالجة.

الوقوف على مكامن الإعجاز القرآني التي جعلته يتميز ((بالتراكيب الخاصة المتميزة لألفاظ القرآن ومعانيه وفي مجموعة العلاقات المجازية والاستعارية، والتشبيهية والكنائية والرمزية بين المعاني والالفاظ وذلك السر الأكبر في إعجاز القرآن)) (الصغير، ٢٠١٩م، ١٧). هذا مع الإيمان بأن القرآن الكريم ليس معجزاً في لغته فقط، وليس لقوم دون قوم آخرين ولا لزمان دون آخر إنما هو معجز في كل شيء، ولكل البشر في كل زمان فهو يشكل تحدياً للبشر ووجه ((التحدي في القرآن إنما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه، ووجه اعجازه أن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله فعلم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره)) (عائشة عبد الرحمن، ٧٥٧٤).

إن إتقان علم البلاغة هو السبيل إلى سبر غور القرآن الكريم؛ لأن اللغة هي البوابة التي يدخل منها القارئ إلى حقائق القرآن ليحني من ثماره، ويرتوي من معينه الذي لا ينضب، لابد للناظر في القرآن الذي يبحث عن معانيه من الإلمام بقواعد علم البلاغة ليقف على الأسرار التي تدفع إلى اتباع أسلوب ما وترك آخر، كأن يلجأ إلى الإيجاز مرة وإلى الإطناب أخرى، وإلى الفصل مرة، أو الوصل أخرى، أو التشبيه في موضع وإلى

الكنائية، أو الاستعارة في غيرها وهذه الفنون إنما هي فروع لعلم البلاغة لا بد للمتلقى من الوقوف عليها وفهمها.

إدراك أسرار التغيرات الأسلوبية بين لغة القرآن التي نزل بها وبين أساليب العرب في كلامها فقد أشار عدد من الباحثين إلى ذلك منهم الدكتور بسام ساعي في كتابه (المعجزة؛ إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن)؛ فقد وقف على بعض مواطن التجديد في لغة القرآن الكريم وبين اختلافها عن المتعارف في النظم عند العرب وأطلق على هذه الظواهر (السبيكة القرآنية) التي عبر بها عن الاختلاف في التراكيب البيانية والنحوية والصرفية والصوتية التي اختلفت عن الاستعمالات الجارية عند العرب، وقدم أمثلة من عبارات قصيرة لا تتجاوز كلمات ثلاث أطلق عليها (الوحدة اللغوية الصغرى)، وبين الاختلاف بين التعبير القرآني، والتعبير الدارج عند العرب للمعنى المراد منها:

١. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ [البقرة: ٢٤٥] يقابله في لغة العرب المعتادة (من الذي).

٢. ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، يقابله في لغة العرب (هل ينتظر منكم).

٣. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿ [آل عمران: ٨] يقابله في لغة العرب (بعد أن).

٤. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ [البقرة: ١٤٣] يقابله في لغة العرب (وهكذا جعلنا).

٥. ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] يقابله في لغة العرب (لا شك أنك).

٦. ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] يقابله في لغة العرب (وكل واحد منهم).

٧. ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَؤُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠] يقابله في لغة العرب (وقد فرطتم قبل ذلك).  
٨. ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا...﴾ [الفرقان: ٤٢] يقابله في لغة العرب (كاد أن يضلنا).

وقد أشار إلى أن هذه التراكيب اللغوية لم تكن مستعملة عند العرب قبل نزول القرآن وأنها دخلت إلى الاستعمال العربي بعد ذلك، وأن تراكيب أخرى في طريقها إلى إلى اللسان العربي بمرور الزمن.

ومن أسمى الغايات التي يمكن أن يقصدها المتعلم هو أن يتقرب بعلمه إلى الله عز وجل، والذي يدرس علم البلاغة للوقوف على أسرار التعبير القرآني لا شك أنه سيجد في لغة القرآن والمعاني التي تقف وراء ألفاظه وتراكيبه رابطاً يربطه بالكتاب العزيز ويقربه من الله زلفى لقول رسول الله صلى الله عليه واله ((ألا من تعلم القرآن وعلمه وعمل بما فيه فأنا له سائق إلى الجنة، ودليل إلى الجنة)) (الريشهري، ١٩٠٢م، ٨/٧٥)

### المطلب الثالث: مفهوم تدبر النص القرآني.

أولاً: التدبر لغة: التدبر مشتق من مادة (دَبَر) التي تدل على آخر الشيء وخلفه، يقال: دُبر الشيء: آخره، قال ابن فارس ((الدال والباء والراء أصل يدل على آخر الشيء وعاقبته)) (ابن فارس، ١٩٩٧، ٢/٢٦٦)، و((التدبر: النظر في أدبار الأمور، أي عواقبها وما تؤول اليه)) (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٤/٢٨٧)، ويدل لفظ (تدبر) وصيغته (تَفَعَّل) على ((التكلف والتعقب مرة بعد مرة وكرة بعد كرة؛ لحصول الأثر الناجم عن المجاهدة التي يجعلها المتدبر عنواناً لجهد ونصبه واجتهاده في تحقيق المراد)) (الشنقيطي، ٢٠٢١م، مج ٤٣ ص ١٤٠٢).

والتدبر اصطلاحاً: قال الراغب الاصفهاني في المفردات ((تدبرُ الكلام: النظر في مقاصده بعد الوقوف على ظاهره)) (الراغب الاصفهاني، ١٤١٢هـ، ١٧٧) وقال الطاهر

بن عاشور ((التدبر هو امعان النظر في دلالات الآيات، واستنباط ما تضمنته من الهدايات والعبر)) (الطاهر بن عاشور، ١٩٩٤م، ١/٥٢). وجاء عن ابن كثير عند تفسير قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] ((أي: يتفهمون معانيه ويتأملون ما فيه من الحجج والبيانات)) (ابن كثير، ١٩٩٨م، ٤/٥٦٦). وعرفه الدكتور فاضل السامرائي بـ((الانتقال من ظاهر اللفظ الى ما يفتح عليه السياق من معانٍ وارتباطات مقاصدية)) (السامرائي: ١٩١٨م، ١٤) وقد بقي معنى التدبر محتفظاً بمعناه اللغوي فهو المدخل الى معناه عند المفسرين، قال الدكتور فهد الذهبي ((إن التدبر من الكلمات الواردة في القرآن على أصل معناها اللغوي ولم تنتقل الى اصطلاح شرعي جديد، وهذا حال أغلب كلمات القرآن)) (الذهبي: ١٢، ١٤/٢٠٠٨، وينظر: الشنقيطي، ٢٢٧). وعرفه العلامة الطباطبائي في الميزان بقوله ((تتبع الآية والنظر في سياقها وما يرتبط بها من الآيات لمعرفة معناها الحقيقي والهداية التي تشير اليها)) (الطباطبائي، ١٤١٧هـ، ٣/٧٤)، وورد عن الشيخ مكارم الشيرازي ((التدبر يعني التفكير العميق في مفاهيم القرآن للوصول الى النتائج العملية التي تغير السلوك)) (الشيرازي، ٢٠١٨م، ١/٥٣). إذ ربط الشيخ بين فهم المعنى وما يترتب عليه من أثر سلوكي؛ لأن فهم النص وتعمقه لا شك سيؤثر على تغير قناعات المتعبد بالنص القرآني ومن ثم يحدث أثراً في حياته العملية، ومن هنا تأتي أهمية استثمار مادة علم البلاغة في تغيير شخصية الطالب الجامعية وتجعله أكثر قرباً من القيم القرآنية التي ترتفع بالإنسان الى الدرجات العالية، وهذا ما أشار اليه الشهيد مطهري بقوله: ((التدبر هو أن يتجاوز القارئ ظاهر اللفظ ليصل الى رسالته الروحية والفكرية)) (مطهري ٢٠١٤م، ١١٢).

نستخلص من التعريفين اللغوي والاصطلاحي أن المراد من التدبر في النص القرآني البحث عن القراءة الواعية التي تتجاوز ظاهر اللفظ للبحث عن المعاني الثانوية، أو الباطنية من خلال سياق النص والربط بين الآيات للوصول الى تحقيق الغاية من تنزيل الكتاب الكريم، وهو الهداية العملية والسلوكية للمكلفين من خلال إدراك البعد الباطني

والروحي للخطاب القرآني، وربط المعنى القرآني بالواقع الذي يعيشه الإنسان وقد عبر الإمام الصادق عن ذلك أصدق تعبير بقوله ((إن للقرآن ظاهر وباطن، فظاهرة تشبيه وتمثيل وباطنه تأويل وتنزيل)) (الطبرسي، ١٤١٥هـ، ١٠٦٧/٤، رقم الحديث ٧٦٦٠)، فما لم يتجاوز قارئ القرآن الظاهر الى الباطن فلن يتمكن من سبر اغوار القرآن الكريم واستخراج الدرر القيمة التي يزخر بها والتي ستجعله يسير على جادة الصواب هادئاً مطمئناً واعياً ومدركاً لرسالته التي وكل بها.

ومصطلح التدبر على صيغة (تفعل) التي من معانيها بذل الجهد في العمل، واذا نظرنا اليه من جهة التعامل مع النص القرآني نجد معنى بذل الجهد والتفكير والتأمل في الآيات القرآنية والبحث عن مقاصدها.

## المبحث الثاني: محاضرات علم البلاغة ومهارات تدبر النص القرآني.

### المطلب الأول: العلاقة بين علم البلاغة وتدبر النص القرآني.

القرآن الكريم هو ذروة البيان العربي، وقد نزل بلسان عربي مبين، مما يجعل البلاغة بعلمها الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) الوعاء الأساس لفهم أساليبه ومعانيه.

ومن هنا ينكشف الارتباط الوثيق بين علم البلاغة والتدبر؛ إذ لا يمكن تدبر آيات الكتاب الحكيم دون الوعي بأسرار التراكيب ووجوه التعبير.

علوم البلاغة تدرس كيف صيغت المعاني (تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو قصر، أو تشبيه، أو استعارة...)، والتدبر يتساءل: لماذا اختار القرآن هذا الأسلوب في هذا الموضوع؟ وما الهداية التي يشير إليها. فعلم البلاغة يمثل مدخلا لفتح طبقات المعنى التدبري من خلال الأنشطة الإثرائية الكثيرة التي تتضمنها النصوص القرآنية التي تحفز المتلقي على التفاعل معها وتبحث في عناصر الجمال في النص القرآني، وهذا ما يرجو الأستاذ الجامعي أن يوصله إلى الطالب ويساعده في امتلاك مهارات التدبر التي تمكنه من تلمس مواطن الإبداع وإدراك مسبباتها.

ومن أهم الأمور التي ينبغي على الأستاذ مراعاتها عند تدريسه لمادة علم البلاغة هو التطبيق على النص القرآني وأن يتحرى الدقة في العرض، ويتعد عن المناهج الغربية التي لا تنسجم مع القرآن الكريم، ومنها دراسة النص القرآني بلاغياً في ضوء ربانيته بعد أن تعددت النظريات التي تحدثت عن نظم القرآن الكريم، ونقصد بربانيته التأكيد على أن القرآن الكريم هو نص رباني لفظاً ومعنى (إن العامل في نظم كلمات القرآن وصياغتها جملاً وتراكيب كلامية بديعة، هو الوحي السماوي المعجز، لم تتدخل فيه أي يد بشرية إطلاقاً، كما ولم يحدث في هذا النظم الكلامي أي تغيير أو تحريف عبر العصور ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]؛ إذ في ذلك يتجسد سرُّ ذلك الإعجاز الخالد، الذي لا يزال يتحدّى به القرآن)) (معرفة، ٢٠١٥، ٢١٠). وهو أصل مهم من أصول الدراسة البلاغية والاستدلال لذلك بالآيات الكريمات ﴿الرَّءِيسُ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ

فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ \* أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ \* وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿١-٣﴾ [هود: ١-٣]

وليس من شك في أن الأستاذ هو الذي يمثل حلقة الوصل بين الطالب وبين النص القرآني، فهو الذي يقدّم له تقنيات التعامل مع النص وفق المعطيات التي تتوافر في درس علم البلاغة الذي يقدم ضمن المفردات الدراسية في الجامعة، فيشرح القواعد التي تجعل الطالب يعيش مع الألفاظ والتراكيب ويدرك سرّ الانسجام الذي يجده في النص القرآني، ويستخرج المعنى الأولي والمعنى الثانوي، أو المعنى الظاهري والمعنى الباطني للآيات، على شرط أن يحوّل الأستاذ مفردات علم البلاغة من كونها قواعد جافة جامدة الى حالة من التعايش مع الآيات القرآنية والبحث عن اسرار النظم القرآني، مثال ذلك حين يقدّم الأستاذ الآية المباركة ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدْرِهَا فَآخْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۗ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهٗ ۗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۗ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧] فهو حين يشرح الاستعارة التي في العبارة ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ يبين أولاً معنى الزبد في اللغة وهو: الرغوة؛ جاء في المعجم الوسيط ((الزبد من الماء، والبحر، والبعير، واللبن وغيرها: الرغوة))، وهذا هو المعنى الظاهري، ثم يبحث مع الطالب عن وجه استعارة هذا اللفظ في هذه الآية وعن دلالاته لينقل الطالب من حفظ المصطلح الى تدبّر النص والبحث في سبب استعمال اللفظ في هذا الموضع ليصل بعد ذلك الى المعنى الباطن وهو أن كل ما لا حقيقة له يضمحل؛ فالزبد يعلو الماء لكنه سرعان ما يختفي؛ لأنّه ليس حقيقياً ولذلك يبين للطالب أن أعمال الإنسان التي لا تنبع من نية مخلصّة صادقة تشبه الزبد لن يُبقي أثراً وسيختفي ويظهر الوجه الحقيقي للعمل، وأنه يأخذ هذه العبرة بدلالة قوله تعالى في آخر الآية ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ هنا

يتحقق الغرض الذي من أجله يبحث أستاذ المادة عن المعنى باستعمال الأدوات البلاغية، والأدوات هي الاستعارة التي في هذا الموضوع.

كذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ \* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ \* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

[الكوثر: ٣] التي نزلت بعد أن توفي ولدٌ للرسول صلى الله عليه وآله فقال بعض القرشيين

ومنهم العاص بن وائل وقيل أبو لهب: دعوه فإنه أبتَر لا عقب له، إشارة إلى وفاة ذريته

من الذكور وهو ما تعارف عليه الناس في ذلك الوقت من انقطاع الذكر بفقدان الذكور،

فجاءت هذه السورة لتسلي الرسول وتخبره أنه قد أُعطي الخير الكثير وأن مَنْ وصفه

بالأبتر في واقع الأمر هو أبتَر لا ذكر له، هنا يأتي التحليل البلاغي لينتقل بالمتلقي من

المعنى الظاهري الذي قد لا يتقبله لحقيقة كون الرسول لأولاد له من الذكور الى المعنى

الباطني الذي أكدته تعالى بقوله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ وهو من أساليب علم المعاني

الذي بدأ بأداة التوكيد وهي (إن) التي دلّت على تثبيت هذا العطاء في مواجهة إنكار

المشركين، ثمّ تقديم الضمير في (إننا) على فعل العطاء لإفادة التعظيم للمعطي والتعبير

بالفعل الماضي للدلالة على تحقق العطاء وثبوته، وجاء استعمال لفظ (الإعطاء) للدلالة

على التفضل ولم يأت بلفظ (الإيتاء)؛ لأنه قد يكون على سبيل الوجوب أو على سبيل

التفضل، وليس من شك أن المناسب في هذا المقام أن يكون التفضل هو المعنى المراد؛

لأنه تعالى إنما يعطي تفضلاً منه ورحمة، ثم تبع هذا الإعطاء أمرٌ بالصلاة والنحر وهما

من فروض الشكر التي يقدمها العبد لربه شكراً لنعمائه، وبدأ بالصلاة؛ لأنها من أفضل

فروض الطاعة الروحية وخص الجانب المادي بالنحر دون سواه من أشكال الإنفاق؛

لأن نحر الإبل من ميزات المنفق الذي يؤثر رضا الله على حبه لحطام الدنيا، ونجد أن

السورة بدأت بالجملة الإسمية للدلالة على ثبوت الأمر وتحققه وكذلك استعمال الفعل

بصيغة الماضي الذي يدل على تحقق الأمر، وهذا الاستعمال أفاد معنى البشارة لرسول

الله بأنه أُعطي عطاءً متحققاً ثابتاً، ثم جاء التعبير في الآية التي بعدها بالجملة الإنشائية

وهو من الفصل بين الخبر والإنشاء ليعود في الآية التي بعدها الى الخبر (إن شانئك هو

الأبتر) وفيه تأكيد للخبر الذي ورد في الآية الأولى بتأكيد انقطاع ذكر المبغض لرسول الله وتثبيت الحكم ب(إن) وبضمير الفصل (هو) الذي أفاد القصر وتعريف الأبتر جاء لاستغراق الوصف وتأكيد له ليصدق على كل من يعتقد بمثل ذلك (الطبرسي، ٢٠٠٦م، ٥٣٨/٥).

نجد أن هذه السورة من أجمل مظاهر الإعجاز القرآني فقد توافرت على أساليب بلاغية متعددة منها:

- ١- التوكيد ب(إن) لإبعاد الشك وللاهتمام بالمعطى له.
- ٢- التعبير بضمير الجمع (إننا) تعظيماً للمعطي.
- ٣- التعبير بالجملة الإسمية (إننا أعطيناك الكوثر) وتقديم ضمير المعطى على الفعل الماضي للدلالة على ثبوت الأمر وتحققه.
- ٤- الدلالة على الخير الكثير باستعمال لفظ (الكوثر) وهي من بلاغة استعمال صيغة (فوع)، واختيار كلمة (النحر) للدلالة على أفضل صور العطاء المادي دون غيره من وجوه الإنفاق المادي، إلى جنب العطاء الروحي المتمثل بالصلاة.
- ٥- العودة إلى التوكيد ب(إن شانئك هو الأبتر) في قبال (إننا أعطيناك الكوثر) للتوكيد وإزالة الشك بأن الرسول قد أعطي الخير الكثير مادياً ومعنوياً دنيوياً وأخروياً بنسبه من ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وببقاء ذكره ببقاء رسالته وبقاء ذريته من بعده إلى قيام الساعة يضاف إليه كل خير يشتمل عليه لفظ (الكوثر) مما يدركه العقل البشري القاصر (السامرائي، ٢٠١٥م، ٢٢٢/٢).

إن استعمال أدوات علم البلاغة في تدبر النص أكثر عمقا وانضباطا من استعمال الشعر والنثر، أولاً لأن النص القرآني يتمتع بقدرة فائقة على التأثير في النفوس لكونه كلام الخالق تبارك وتعالى، ولا يوجد بين المؤمنين من يكذبه، أو يشك في صحة معناه مما يشكل قاعدة أساسية لدى الاستاذ والطالب ولذلك يمكن أن يكون بوابة واسعة للتمتع بمعانيه العميقة التي يمكن ملاحظتها في بلاغته ونظمه وأخباره لقوله تعالى ﴿أَفَلَا

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿ [النساء: ٨٢] ، فقد ذهب ابن عاشور الى أن معنى ((يتدبرون القرآن: يتأملون دلالاته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد اليها المسلمين، أي تدبّر تفاصيله؛ وثانيهما: أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق. وسياق هذه الآيات يرجح حمل التدبر هنا على المعنى الأول، أي لو تأملوا وتدبروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولما بقوا على فتنتهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام. وكلا المعنيين صالح بحالهم، إلا أن المعنى الأول أشد ارتباطاً بما حكي عنهم من أحوالهم)) (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ١٣٨/٥)، ويرى الشيخ الطوسي أن التدبر يؤدي الى استنباط الأحكام والمعاني من خلال التأمل يقول: ((الوجه في معرفة المراد هو التدبر في الكلام ومعرفة سياقه)) (الطوسي، ٢٠٢٠م، ١٣/١)، وأكد على أن المفسر لابد له من أدوات هي: اللغة والعقل والسياق (الطوسي، ٢٠٢٠م، ٢١٩/٢)، فيما ذهب الشيخ الطبرسي الى بيان الغرض من التدبر في آيات الذكر الحكيم فقال: ((التدبر هو تبين مراد الله بالنظر في الألفاظ وما يقتضيه العقل واللغة)) (الطبرسي، ٢٠٠٦م، ٤٥/١).

### المطلب الثاني: مهارات التدبر.

لعل الأمر الأهم في هذا الجانب هو بيان الوسائل أو الطرائق التي لابد للأستاذ من معرفتها والإفادة منها في تقديم مادة علم البلاغة بالطريقة التي تنمي عند الطالب الذائقة التدريبية، والقدرة على التفكير في النص القرآني لفهم المعاني المطلوب منه ادراكها ومن ثمّ العمل بموجبها وترى الباحثة ضرورة اتباع منهج يناسب فئة الطلبة الموجه إليهم هذا الدرس - علم البلاغة - لتحقيق منه الغاية وهي تدبر القرآن الكريم وتربية النفس على القيم الإسلامية العليا واستنباط المعاني اللطيفة والدلالات الخفية والإشارات المهمة.

ونبدأ أولاً ببيان ملامح المنهج البلاغي الذي يمكن أن يحقق الغرض، ثم ننتقل الى البحث في المهارات التي لابداً من تحصيلها:  
ولكي يكون ((هذا المنهج مناسباً للفئة المعنية - وهم غير المتخصصين في علم البلاغة - فلا بدّ من وضع أطر عامة له وهي:  
١- البعد عن المصطلحات، الا في أضيق الحدود.

٢- العناية بما يبحث في الأسرار والدلالات لا فيما يهتم بالحدود والتقسيمات.  
٣- الاستفادة من جهود المفسرين الذين يعنون بتوظيف علم البلاغة في التفسير.  
٤- أن يكون المنهج مبنياً على مستوى الكلمة والتركيب والأسلوب، لا على التقسيم الثلاثي للبلاغة.

٥- الاعتماد على الاسئلة البلاغية مثل: ما سر ذكر هذه الكلمة؟ وما سبب تقديم هذه اللفظة؟ وما المناسبة بين مطلع السورة ومقطعها؟ لماذا هذا الترتيب في ذكر الاقسام؟ وهكذا.)) (العطوي، ٢٠٠٥م، ١٧).

ومن المهارات التي يمكن أن تعين الطالب على تدبر النص القرآني:  
أولاً: الابتعاد عن التقسيمات والتفريعات للأصول البلاغية.

الذي يبرر ذلك هو كون مادة علم البلاغة في الجامعة موجهة الى طالب غير متخصص في الغالب والمطلوب منه التعرف على الأصول البلاغية وتذوقها وتطبيقها على النص القرآني؛ والأمر الذي يدفعه الى التفكير والتأثر والعمل بموجبه، ولاشك في أن الأستاذ إذا أغرق الدرس بالحديث عن التقسيمات الفرعية لكل أصل منها قد يفقد انتباه الطالب مما يؤدي إلى ضياع الطالب في البحث في التفريعات وحفظها ويترك الاهتمام بالدلالات وهي الجانب الأهم، مثال ذلك: الكناية المراد بها هو تعبير يقصد به لازم معناه مع إمكان إرادة المعنى الأصلي من غير حاجة الى قرينة مانعة من إرادته، والوظيفة التي تؤديها الكناية هي الإيحاء بدل التصريح وتوسيع الدلالة وإشراك المتلقي في انتاج المعنى وهذا هو الأصل المطلوب في استعمال الكناية وترك التصريح بدلالة

اللفظ، ولكنها تتفرع الى فروع متعددة منها أن تكون كناية عن صفة، أو كناية عن موصوف، أو كناية عن نسبة والنسبة الى قريبة وبعيدة والى عقلية وعرفية وملزمة وغير ملزمة، فإذا نظرنا الى الكناية كونها موجهة الى طالب جامعي لا الى متذوق بلاغي مهتم فهذا بلا شك سيؤدي الى تشتت ذهن الطالب، فينشغل بالبحث عن التفرعات ويترك الاهتمام بالدلالة التي تمثل الأساس من إيراد الكناية ويمكن أن نأخذ مثلاً للتوضيح.

قوله تعالى ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] ففي هذا الشاهد القرآني المراد هو بيان أهمية تواضع الأبناء للوالدين ووضحه في سلوك جسدي له قيمة معنوية كنى عنها بالطائر الذي يخفض جناحه لصغاره اهتماماً وعطفاً ويرسم صورة عميقة تبث شعوراً عالياً بالرعاية والرحمة كعطف الأم على صغارها ولعل التوقف عند هذا الحد من القول في تحقق الكناية في هذا الشاهد كفيل بإيصال الفكرة من استعمال الكناية؛ ليرحل الطالب مع الأستاذ في جو الصورة التي رسمتها الكناية والدلالات العميقة التي تحصلت منها، في قبال ذلك نلاحظ ضياع الكثير من هذا التركيز فيما لو بحث الأستاذ في تفاصيل الكناية فقال: إن الأسلوب فيه كناية ونوع الكناية هو كناية عن صفة والصفة هي التواضع وأن العلاقة هي علاقة الملازمة فينشغل الطالب في البحث عن هذه التفصيلات وهو في غنى عنها وهكذا الأصول البلاغية الأخرى وفروعها الكثيرة في الأبواب البلاغية المختلفة، ونحن من المؤكد لا نقول بانعدام جدوى معرفتها ولكننا نرى أنها تقلق فكر الطالب كون وحدات علم البلاغة التي تقدم للطالب لا تسمح بهذا التفصيل ففي الغالب لا يتجاوز عدد الوحدات وحدتين في ساعتين أو ثلاث وحدات في ثلاث ساعات أسبوعياً ومفردات علم المعاني كثيرة وتفصيلاتها أكثر لا يستوعبها هذا العدد من الوحدات لذا يكون العلاج بالتقليل أو الابتعاد عن التفرعات والتفصيلات .

٢- اهتمام الأستاذ باستثارة الجانب النفسي للطالب ومساعدته في تذوق النص القرآني جمالياً بالإفادة من علوم علم البلاغة، وهو من الوظائف المهمة التي تقوم بها

علم البلاغة وهي تكوين حسٍ جمالي لدى المتلقي؛ لأنه من العوامل التي تبرز مواطن الإبداع في النص، ولا شك في أنه يتأثر تأثيراً مباشراً بالمستوى الأسلوبي للنص؛ لأن قيمة الكلمات فنياً لا تتحدد الا في إطار سياقها وجمال النص لا يقوم على بنية الكلمة ذاتها؛ بل بفعل ما يربطها بما يسبقها وما يليها من عناصر التركيب.

ولابدّ من ((الحرص على تنمية الذوق لدى القارئ والمتلقي، وإكسابهما الأدوات التي تخول لهما إنجاز تلقي جمالي فعال هو الداعي الى استثمار الدرس البلاغي في تحليل صور النص وأساليبه وتقنياته)) (عروي، ١١٥٠) والطالب هنا هو المتلقي الذي لابدّ من تنمية ذوقه ورفع مستوى تلقيه للنص القرآني الذي يفتح بصيرته على البحث عن المعنى الباطني للنص مستوعباً للمعنى الظاهري أولاً لينتقل بعد ذلك الى البحث عن مقاربات لمراد الله تعالى؛ لكون النص القرآني نصاً له ظاهر وباطن وقد ((ورد في تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيه من حرف إلا وله حد، ولكل حدٍ مطلع، ما يعني بقوله: ظهر وبطن؟ قال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع)) (الطباطبائي، ١٤١٧هـ، ٨٣-٨٤) فالنص القرآني يحتمل معاني مختلفة إذا بحث في باطن النص وليس في ظاهره، ولابد للأستاذ من أن ينمي عند الطلبة طاقات الذوق الجمالي، وقد لمسْتُ ذلك لدى الطلبة في تلقيهم للشواهد القرآنية التي تطرح في أثناء الدرس، إذ يتحول الطالب من متلقٍ سلبي للشاهد القرآني الى طالب متفاعل يبحث خلف الألفاظ عن معانٍ متعددةٍ بعد أن سمع أن القرآن الكريم ((له ظهر وبطن)) وأن المتلقي يمكن له اذا تمكن من أدوات التحليل البلاغي للنص أن يبحث عن دلالات تتعلق بباطن النص مثال ذلك ما ورد في سورة القارعة ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)﴾

[سورة القارة] حيث شبه الباري الناس عند انبعاثهم عند الصيحة بالفراش المبعوث وهو الذي يتطاير وينفرش ويتراكم بعضه على بعض لتطايه العشوائى، وشبهه الجبال بالصوف المنفوش. هنا يبدأ بالسؤال: ما أهمية مثل هذين التشبيهين؟ ثم لماذا جاء اختيار الجبال بعد اختيار الانسان؟ فذكر الانسان أمر طبيعي؛ لأنه المقصود بالسورة ولكن ما سرُّ اختيار الجبال وبيان حالها في ذلك اليوم؟ هنا يأتي دور الأستاذ ليبين للطالب أن عليه أن يعمل العقل للوصول الى أن المقصود ليس التشبيهات القريبة المرتبطة بظاهر النص بل المراد من التشبيه ومن وضع الجبال قبال الإنسان وأنه تعالى ((اختر الجبال دون السماء ودون الأرض ودون البحار وغيرها؛ لأن الجبل يتسم بالضخامة وبالصلابة وبالشموخ، وحينئذ يكون انتخابه - دون ما هو يُشاهد ويُلمس حسيًا - متناسبًا مع فكرة النص التي تستهدف ابراز دلالة الهول عند قيام الساعة)) (البستاني، ٢٠٢٤م ٣٩٤.٣٩٣/٥) ولعله ينسجم مع القيمة الوجودية للإنسان الذي خلقه الله تعالى ليكون خليفته في الأرض وهو كما عبر عنه الامام علي عليه السلام بقوله ((وتظن أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر)) لكنه في ذلك اليوم ((عندما ينبعث من القبر يتحول الى ما يشبه سلوك الفراش الذي يتراكم عشوائياً وحيث يفقد تماسكه النفسي نتيجة الهول والجبال تفقد تماسكها المادي نتيجة للصيحة... إذن كلُّ منهما يفقد تماسكه بحسب هويته المادية أو النفسية)) (البستاني، ٢٠٢٤م ٣٩٤.٣٩٣/٥) ومن هنا يبين للطالب الأسرار الفنية لهذين التشبيهين؛ فيكون قد أفاد من بلاغة التشبيه في بيان عمق المعنى الذي انطوى عليه النص.

وهذا لا شك من الطرائق التي تنمي لدى الطالب مهارة التدبر، وتبين له أهمية البحث عن الأسرار التي تقع خلف كل خبر قرآني وتشبيه واستعارة وكناية ومجاز وسواها مستفيدا من الأدوات البلاغية في الوصول الى المعاني القرآنية.

٣- إثارة الأسئلة التدريبية.

وهي مهارة لا بد للأستاذ من تمرين الطلبة على الأخذ بها للبحث عن الدلالة المطلوبة وتكون ذات شقين:

الأول: على مستوى الألفاظ.

الثاني: على مستوى المعاني.

المراد بالمستوى الأول أن يتساءل الطالب لماذا ورد هذا اللفظ ولم يستعمل غيره، ولماذا بهذه الصيغة وليس بصيغة أخرى، ولماذا تقدم اللفظ وتأخر الآخر، وهكذا مثال في الآيتين ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الحديد: ٢١] ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، لماذا بدأت الآية الأولى بـ ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وفي الآية ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ما الفرق بين المسابقة والمسارعة؟ وهكذا الآيات الأخرى التي يوجد فيها تغير لفظي.

على المستوى المعنوي: هو أن يتعلم الطالب التساؤل عن سبب وجود المعنى المتحصل من الآية الكريمة لينتقل من البحث في الظاهر الى البحث في الباطن والعواقب التي تترتب عليها مثال ذلك ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] السؤال هنا لماذا قرن الله تعالى الإحسان الى الوالدين بحصر العبادة له وحده، ما المعنى الذي خلف هذا المعنى: حصر العبادة به وحده، ثم قضى بالإحسان الى الوالدين؟ هنا يتسع المعنى ليعين الأستاذ أن الله هو الخالق لهذا الكون وهو المخصوص بالعبادة، ثم ذكر الوالدين؛ لأنهما خليفته على الأرض وأن البشرية إنما تتفرع عن وجودهما بإذن الله تعالى فهو الخالق وهما واسطة الفيض بإذنه فلولا وجوده تعالى لما وجد الكون وما فيه، ولولا أنه تعالى خلق الوالدين وجعلهما مصدر الفيض الوجودي للأبناء لما تكونت البشرية؛ وعليه لا بد للإنسان من عبادة الله الواحد الأحد وحده بلا

شريك، ولا بد له من الإحسان الى مصدر وجوده على الأرض وهما الأب والأم الذين استخلفهما الله تعالى لإعمار الأرض .

رابعاً: مهارة البحث عن معنى المفردة، أو التركيب في السياق الذي ورد فيه إذا تكرر ذكره أكثر من مرة في أكثر من سورة واحدة مع اختلاف يبدو طفيفاً للمتلقي.

مثال ذلك: قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ...﴾ [البقرة: ١٩١] وفي موضع آخر في آية أخرى في السورة نفسها ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ...﴾ [البقرة: ٢١٧] هنا ورد التعبير مرة ب(أشد من القتل) وفي الآية الثانية ب(أكبر)، فما السبب؟ وهذا مما يدفع الطالب الى البحث والتفكير للوصول الى المعنى المراد، ولا شك في أنه يدفعه الى شحذ أدوات الفكر وبالنتيجة سيقف على نوع من أنواع التغيرات اللفظية والتركيبية المقصود في النص القرآني.

خامساً: التدبر في الدلالات البلاغية.

لا شك في أن القرآن الكريم يزخر بالدلالات البلاغية التي تمكن الطالب الجامعي من كشف المعاني العميقة التي يراد فهمها والعمل بموجبها، لكنه يحتاج الى توجيه وإرشاد وتمارين على طرائق البحث عن تلك الدلالات واستيعابها ومن ثم العمل وفقاً لما يريده تعالى من العبد، وهذه المهمة يضطلع بها الأستاذ الذي يبدأ ببيان الدلالات البلاغية القرآنية ويبين للطالب خطوات تتبعها والبحث في المعاني الخفية التي تقف وراء المعنى الظاهر من ذلك مثلاً: ما ورد في سورة الشعراء في قوله تعالى ﴿فَأَنَّهُمْ عَدُوِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ \* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ \* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [سورة الشعراء: ٧٧-٨٢] نلاحظ في هذه الآيات:

أولاً: القصر الذي جعل كل معبود سوى الله تعالى عدواً للإنسان.

ثانياً: التكرار البنائي في الأفعال (يهديني، يطعمني، يسقيني، يشفييني، يحييني، يغفر لي) يسبقها تكرار الاسم الموصول ليعطي ايقاعاً توحيدياً متصاعداً مع تعداد للنعم على نسق تراتبي بدأ بالخلق أولاً ثم الإطعام والسقاية؛ لأنهما من حاجات المخلوقين للاستمرار ثم ذكر المرض الذي يعرض للإنسان ثم الإمامة بعد الحياة الأولى والإحياء في يوم النشر للحساب .

ثالثاً: الالتفات من ضمير المتكلم (تاء الفاعل) الى ضمير الغيبة (يشفييني) في قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ هنا نسب المرض الى نفسه وليس لله تعالى أولاً؛ لأنه تعالى مصدر الخير المطلق فلا يأتي منه شرٌّ من مرض وغيره أبداً، وثانياً إشارة الى أن الإنسان هو من يتسبب بالمرض لذنب أو لرفع درجة، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يقول للمريض إذا عاده (لا بأس عليك طهور إن شاء الله)) (العالمي: ٢١٦:١). وقول الامام: أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول الله عزَّ وجل ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠) ثم قال: وما يعفو الله أكثر مما يؤخذ به)) (الكليبي: ٢٦٩/٢).

## الخاتمة والنتائج:

١- إن القرآن الكريم هو النص الأعلى بلاغة وإيجازاً والأقدر على إيصال المعاني الإلهية التي أنزل لأجله، وقد جاء على وفق التراكيب العربية، وعلم البلاغة التي نشأت لخدمة النص القرآني وضبط قراءته لضمان صحة التعبد به وهو الغاية القصوى التي لابد من إيصالها للطالب في الدرس، لابد من أن يكون القرآن الكريم هو النص التطبيقي في المحاضرات التي يقدمها الأستاذ للطالب ليستثمر الدرس البلاغي ويجعله بوابة تفتح له باباً للولوج الى القيم الإسلامية العليا التي تبني شخصيته الإسلامية، يضاف الى ذلك ما يكتسبه من معارف تعينه على التعبد بالتشريعات الإلهية بنفس راضية، وهذا ما تتكفل ببيان جزء مهم منه محاضرات علم البلاغة التي تمنحه قدرة على تحسس مواطن الجمال في النص القرآني وقدرة على فهم فلسفة التشريعات بما تقدمه له محاضرات علم البلاغة من مهارة في قراءة النص وتدبره والتفكير فيه .

٢- الطلاب الذين درسوا علم البلاغة بشكل تطبيقي أظهروا قدرة أعلى على شرح معاني الآيات، وإدراك جمال التعبير والصياغة.

٣- ارتفاع الوعي بأهمية علم البلاغة في تذوق النص القرآني والانتقال من المعنى الظاهري الى المعنى الباطني.

٤- ازداد الوعي بأهمية قراءة القرآن قراءة تدبر وتفكر لا قراءة سطحية متعجلة؛ بسبب فهم الصور الفنية التي تحفل بها الآيات والتي تمكنوا من التعرف عليها من خلال فهم علم البلاغة.

٥- إن أفضل طريقة من طرق تقوية العلاقة بين الطالب والقرآن يمكن أن تمر من طريق علم البلاغة؛ إذا تمت دراستها دراسة تطبيقية على النص القرآن وليس على الشعر أو النثر.

٦- إن إهمال التدريسي لتطبيق محاضرات علم البلاغة على النص القرآني يُبعدُ الطالب في - رأي الباحثة - عن الهدف الأساس الذي أدى الى نشوء علم البلاغة والتي نعلم أنها إنما انبثقت من الاهتمام بفهم النص القرآني المعجز.  
التوصيات:

- ١- اعتماد النص القرآني الأساس الذي يقدم لتدريس علم البلاغة كونه النص المقصود من ظهور علم البلاغة ولمساعدة الطلبة على التعامل مع النص القرآني على وفق ما يستحق من الاهتمام والعناية.
- ٢- زيادة عدد الوحدات المقررة لمادة علم البلاغة في الأقسام غير الاختصاص لزيادة الفائدة للطلبة؛ فما وجدته أن عدد الوحدات في الغالب إما اثنتين أو ثلاث في الأسبوع وهي قليلة لا تبلغ غايتها المرجوة من التأثير اللغوي والأسلوبي والفكري.

### المصادر والمراجع.

#### - القرآن الكريم

- ١- ابن فارس: ١٩٧٢، مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون المحقق، ط ٢، بيروت، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ٢- ابن كثير: ١٩٩٩م، تفسير القرآن العظيم، محمد حسين شمس الدين المعلق، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٣- ابن منظور: ١٩٩٩م، لسان العرب، ط ٣، بيروت، دار احياء التراث العربي.
- ٤- البستاني: محمود، ٢٠٢٢م، التفسير البنائي للقرآن الكريم، ط ٤، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية.
- ٥- جرجي زيدان: ١٩١١م، تاريخ آداب اللغة العربية، ط ١، مصر، مؤسسة هنداوي.
- ٦- الدكتور السامرائي: فاضل، ٢٠١٨م. لمسات بيانية، ط ٣، دمشق، دار ابن كثير.

٧. الدكتور الصغير: محمد حسين، ١٤٢٠هـ، نظرات معاصرة في القرآن الكريم، ط ١، بيروت، دار المؤرخ العربي.
٨. الدكتورة عائشة عبد الرحمن: ١٩٧١م، الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي، ط ٣، القاهرة، دار المعارف.
٩. الدكتور عروي: محمد اقبال، ٢٠١١، آليات منهجية لاستثمار الدرس البلاغي في تحليل النصوص، ط ١، السعودية، جامعة محمد بن سعود.
١٠. الذهبي: شمس الدين بن عثمان، ١٩٨٥م، سير اعلام النبلاء، حسين أسد، شعيب الارنؤوط، ط ٣، بيروت، مؤسسة الرسالة.
١١. الراغب الاصفهاني: ١٤١٢هـ، المفردات في غريب القرآن، صفوان عدنان داوودي، ط ١، دمشق، دار القلم.
١٢. الشنقيطي: ٢٠٢١/١٢/٣١م، مفهوم التدبر السياقي وتطبيقاته: دراسة في القرآن الكريم، حولية أصول الدين، المجلد ٢، العدد ٣٤، ص ٧٧.
١٣. الشيخ الطبرسي: حسين النوري، ١٤١٥هـ، مستدرک وسائل الشيعة، ط ١، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث المحقق.
١٤. الشيخ مطهري: جعفر مرتضى، دن، الإنسان والقرآن، د.ط، مجمع أهل البيت عليهم السلام.
١٥. الشيرازي: مكارم، ١٩٩٢م، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط ١، بيروت، دار الكتب الإسلامية.
١٦. الطاهر بن عاشور: ١٩٦٤م، التحرير والتنوير، ط ١، القاهرة، مؤسسة عيسى البابي الحلبي.
١٧. الطباطبائي: محمد حسين، ١٩٩٧م، الميزان في تفسير القرآن، حسين الاعلمي، ط ١، بيروت، منشورات الأعلمي.

- ١٨- الطوسي: ١٢٠٩هـ، التبيان في تفسير القرآن، احمد حبيب قصير العاملي، د.ط، بيروت، احياء التراث العربي.
- ١٩- الريشهري: محمد، ٢٠٠١م، ميزان الحكمة، ط ١، قم، دار الحديث للطباعة والنشر.
- ٢٠- عبد الملك بومنجل، ٢٠٢٢م، تأصيل علم البلاغة بحوث نظرية وتطبيقية في اصول علم البلاغة العربية، د. ط، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٢١- العسكري: أبو هلال، ١٤١٩هـ، كتاب الصناعتين، علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم المحقق، بيروت، المكتبة العصرية.
- ٢٢- العاملي: جعفر مرتضى، ٢٠٠٩م، الآداب الطبية في الإسلام، ط ١، بيروت، دار علم البلاغة.
- ٢٣- العطوي: عويض بن حمود، ٢٠١٣م، المنهج البلاغي وأثره في تدبر القرآن، د. ط، الناشر المؤتمر الدولي الأول للتدبر.
- ٢٤- فهد الذهبي: ٢٠٠٨/١٢/١٤م، تحرير معنى التدبر، مجلة الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن، المجلد ١، العدد ٢١.
- ٢٥- الكليبي: ٢٠٠٨م، فروع الكافي، غفاري المحقق، ط ١، بيروت، الاميرة للطباعة والنشر.
- ٢٦- معرفة: محمد هادي، ٢٠٠١م، التمهيد في علوم القرآن، ط ١، بيروت، دار التعارف للمطبوعات.